الفصل السادس

أنماط الإدارات المقترحة لإدارة الفصل فى عالم متغير

إدارة الفصل بين العلم والفن والمهنة

أولا أنماط الإدارات المقترحة

ثانيا العائد التربوى للإدارات المقترحة

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

إننا إذ نستعرض فى هذا الفصل أنماطا وأشكالا للإدارات التى تناسب الفصل الدراسى وما يحويه من مجموعة التلاميذ المختلفين فى ذكائهم وقدراتهم وميولهم واتجاهاتهم، فإننا نقرر بذلك عودة لما يجب أن تكون عليه الإدارة الصفية، لأنها المركز الاستراتيجى الذى يتم الاعتماد عليه فى بناء الشكل والمضمون للممارسات السلوكية على مختلف أنواعها وفى كل مجالاتها.

وفى هذا المقام ونحن نتطلع إلى ضرورة التنويع المستمر لممارسات إدارة الفصل، نؤكد بكل قوة أن الأسلوب الذى يعتمد على شكل واحد فى إنجاز الأمور الإنسانية لا يحقق الهدف ولا يصل إلى غاياتنا الكبري، ولذلك نحن على يقين أن الأسلوب الديكتاتورى أو التسلطى فى إدارة الفصل أصبح من الأمور التى لا تناسب عصر العولمة ومنطلقاتها الأساسية التى تهدف إلى تدعيم الحريات وتعمل على مساعدة ممارستها بكل قوة، وتقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه مصادرتها أو وقف العمل بها.

وقد لا يكون لدى المعلم أى شعور داخلى بأنه يمارس الديكتاتورية فى عمله التعليمى والتربوي، لأن متطلبات العمل تفرض ذلك الأسلوب، فلقد تعودت الأجيال على الاستماع كأحد وسائل التعليم ومن ثم يجب على المعلم أن يحدث ويملى ما فى جعبته دون مناقشة أو حوار، وتلك سمة الديكتاتورية ولكن لا نستطيع القول بأن هذا الأسلوب يصلح جزئيا أو كليا مع أجيال اليوم ورجال الغد وكل شيء تغير بل لم يعد هناك شيئا لم يتغير، والتغير سنة الحياة ولابد من أن نتحاور من أجل مزيد من تطوير ذلك التغير لصالح الحاضر والمستقبل دون أن نخل بالقواعد الثابتة التى ترسم صورة المجتمع الثقافية.

نحن نستعرض مجموعة من أنماط وأشكال الإدارات فى صياغة تربوية لتناسب الهدف المنشود وتحقق الغرض المطلوب فى عصر العولمة.

لا ينبغى أن نقتحم الموضوع عنوة ونعرج إلى أنماط وأشكال الإدارات مباشرة قبل أن نوضح أمرا فى غاية الأهمية، بل يترتب على أهميته تحديد سمات وصفات تلك الإدارات المقترحة والتى تناسب السرعة المذهلة التى يعيشها العالم كله الآن، بل والأكثر خطورة أنه ينتظر المزيد من التسارع حتى أصبح يخشى أن يحدد نقطة للوصول إليها لأن مقياس السرعة أصاب الباحثين والعلماء بالكثير من القلق العلمي، وأوقعهم فى حرج دائم لعدم قدرتهم على التحديد الدقيق لكثير من الأمور.

ومن ثم كان من الواجب أن نعرض شيئا عن إدارة الفصل تحدد الإجابة عن السؤال التالى:

هل إدارة الفصل فى عصر العولمة علم أم فن أم مهنة؟

ومن خلال تحديد ملامح الإجابة على هذا السؤال يمكن الوصول إلى الأنماط المقترحة لإدارة الفصل فى هذا الزمان، حيث إنها تحتاج إلى مهارة خاصة تجعلها قادرة على التكيف مع المواقف الجديدة، والحركة السريعة لعجلة الحياة حتى تصبح الإدارة إحدى الوسائل الهامة فى تحقيق الأهداف العامة والخاصة للتربية والتعليم على مختلف المستويات والمراحل التعليمية.

إدارة الفصل بين العلم والفن والمهنة

كثر الجدل حول طبيعة إدارة الفصل وأهميتها خاصة فى عصر العولمة ونحن نتحول من عصر الشمولية فى كل شيء إلى التخصص الدقيق لكل شيء، فلم يعد يصلح مطلقا إطلاق العبارات التى استلهمها الكثير من فوضى الجهل الذى فرضه الاستعمار وذلك حين أطلق على حلاق القرية اسم الدكتور، ومعلم الكتاب فى القرية الشيخ أو العريف أو العالم، وبذلك انتهكت شرعية وحرمات الكثير من المهن لغير المتخصصين وسادت عبارة خاطئة نعانى منها الكثير حتى الآن وهى (أن مهنة التعليم مهنة من لا مهنة له) ومن خلال هذه العباراة فتحت بوابة مهنة التعليم على مصراعيها لكى يدخل من خلالها أصناف شتى من الخلائق منهم من هو راغب ومخلص للعلم وحاول واجتهد للوصول إلى مكانة مشرفة مع نفسه وتلاميذه، وأرضى الله والوطن ومنهم من جعلها للاسترزاق وبعيدا عن شبح البطالة الذى يؤرق الكثير، ولكنه لم يخلص النية ويحسن العمل وبذلك ضاع وأضاع فى الأمواج المتلاطمة لبحور العلم والمعرفة وحرص على نفسه، وهتك نفوس الآخرين وكانت تلك أكبر لطمة فى تاريخ التربية والتعليم خاصة أن تلك المهنة تحتاج إلى تهيئة نفسية وعقلية وروحية لأنها فى الأصل جهادا حقيقيا فى سبيل الله، وكما ورد فى معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع.

ومع الدعوة المخلصة للعودة إلى الجهاد فى سبيل الله لتعليم أبناء الأمة وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة خاصة فى عصر العولمة التى تدعو فى باطنها للإرتداد مرة أخرى إلى ظلمات الثقافة تحت دعوتها الظاهرية بعمومية الثقافية العالمية واحترام حريات الشعوب ورغباتهم، مع إثارة شهواتهم المادية للطعام والشراب والملبس وعموم الماديات حتى تصاب الإنسانية بتخمة البطن فتقعد عن الحركة وتتوقف وتصاب بشلل العقل فتقعد عن

التفكير، ومن ثم تصبح تلك الشعوب أجسادا بلا حركة وعقولا بلا فكر، ومن هنا يأتى دمار العولمة فى أى وقت يحددونه لأنهم ملكوا ناصية تلك الشعوب واستعبدوا حرياتهم.

ومن هنا تصبح مهنة التعليم وإدارته من المهن ذات القدسية العالمية التى تحتاج إلى أضلاع المثلث المتساوية بين العلم والفن والمهنة.

أولا إدارة الفصل كعلم

لا يستطيع أحد فى هذا العصر أن ينكر أن علمية إدارة الفصل الدراسى لما يحويه من جماعات إنسانية وثقافات متعددة وبيئات مختلفة، كل ذلك يتطلب ثورة عقلية من جانب المعلم حتى يمكن تحقيق التواؤم بين الاختلافات الواردة مع التلاميذ والإسهام فى إعادة صياغتهم بما يجعلهم مواطنين قادرين على دفع عجلة التنمية بما يملكون من قدرات واستعدادات، ولذلك تحتاج إداراتهم إلى تطبيق المنهج العلمى وخطواته فى الوصول إلى تلك المتطلبات الضرورية.

ولا يمكن إنكار أهمية الأسلوب العلمى فى إدارة الفصل وضروراته والبعد كل البعد عن الإرتجال (الفهلوة) أو التهريج خاصة أن تلاميذ اليوم يختلفون كثيرا عن تلاميذ الأمس لما يملكون من خبرات وما يتمتعون به من مهارات حديثة جعلتهم أكثر قدرة على معرفة الجيد والجديد من السيء والقديم.

ومن أهم الأسباب التى تدعو إلى التمسك بالأسلوب العلمى فى إدارة الفصل لعصر العولمة ما يلي:-

١ - الطابع التقدمى للبحث العلمي

لقد أصبح البحث العلمى مرتكزا أساسيا لكل العلوم والفنون للوصول إلى الهدف المنشود ولم يعد هناك مجالا مهما صغر حجمه أو قلت قيمته

يمكن أن يستغنى عن الاستفادة بخلاصة النتائج التى وصل إليها البحث العلمى فى مجال عمله وعلمه، والفصل الدراسى بما يجمع من تلاميذ لكل واحد منهم مشكلته، ولكل واحد منهم خصائصه، ولتحقيق الإنجاز المطلوب دون الإسراف فى الوقت والجهد والموارد لابد من الاعتماد على نتائج ثابتة صادقة من خلال بحث علمى يؤكد ذلك.

ومن هنا كانت إدارة الفصل الدراسى تحت سيطرة البحث العلمى إرساء لقواعد الخصوصية للعمل فى هذا المجال ولتحديث علم الإدارة الواسع.

٢ - تحييد الذاتية وإرساء الموضوعية

إذا كانت إدارة الفصل فى عصور سابقة تعتمد كثيرا على ذاتية المعلم ومهارته الشخصية ومن خلالها يصدر أحكامه بالنجاح أو الفشل على التلاميذ منطلقا من الظواهر أو المشاهد التى يراها على التلاميذ.

لكن العلم كعلم لا يعتمد على المشاهدة أو المؤثرات الذاتية إنما يتطلب إثبات هذه المشاهد والمؤثرات الذاتية موضوعيا، فالتلميذ الذكى ليس بما نشاهده عليه من حركات وكلمات، ولكن من خلال ما تثبته اختبارات الذكاء ومقاييسه.

لذلك ساهم العلم بتحييد ذاتية المعلم فى الكثير من الأحكام، وأحل محلها الموضوعية العلمية التى يعتمد عليها فى إدارته للموقف التعليمي.

٣ - قابلية النتائج العلمية للتطور والنمو

لعل من أبرز ما يميز إدارة الفصل بالأسلوب العلمى هو اعتراف القائمين على العملية التعليمية بعدم الجحود والإيمان الكامل بأهمية استمرار التجارب البحثية لمزيد من التقدم والتطور.

وأصبحت إدارة الفصل كل يوم فى جديد من خلال التحديث التربوى المتلاحق للوصول إلى درجة مناسبة من التوازن مع الانفجارات المعرفية وتطبيقاتها ولذلك أصبح ضروريا أن يتقبل المعلم كل يوم فكرة جديدة فى الإدارة تسهم فى زيادة التفاعل مع العالم باعتبار أن الفصل الدراسى نسقا من أنساق المجتمع العالمي، ويتأثر تماما بكل المؤثرات العالمية.

ولعلنا باستعراضنا لبعض السمات البارزة للإدارة العلمية يمكننا القول إن إدارة الفصل علم له قواعد ثابتة، وأن الإدارة يجب عليها أن تسلك سبيل العلم لتحقيق النهضة التى بدأت تتسارع مع ظهور مبادئ وأفكار العولمة فى نهاية القرن العشرين واستمرت فى التسارع الفائق فى القرن الحادى والعشرين.

ومن ثم فنحن نؤكد فى هذا المقام على أهمية الارتكاز على الأسلوب العلمى بأركانه المختلفة فى إدارة الفصل الدراسي.

ثانيا إدارة الفصل كفن

لعل البعض يقتنع بفنيات إدارة الفصل الدراسى مؤكدا ذلك من الاعتماد على شخصية المعلم، لأن شخصية المعلم ليست جزء من جسد الإنسان قابلة للإشارة إليها كالذراع أو الرأس أو القدم... الخ، إنما شخصية المعلم تتضمن قدراته التى تتضح فيما يؤديه من أعمال، وكذلك تتضمن استعداداته التى تحركها دوافعه الخاصة وكذلك مزاجه الخاص، الذى تثيره المواقف المختلفة وبالضرورة تنطبق شخصيته على سماته التى يتصف بها من هدوء وانفعال أو نشاط وخمول، الذى يظهر عليه بصورة مستمرة ودائمة، وكذا الجرأة والاندفاع أو التعقل والتبصر إلى غير ذلك من السمات التى تصف الشخص فى ضوء مؤثرات البيئة، كما تدخل الشخصية فى الأسلوب الذى ينتهجه الفرد فى سبيل تحقيق أهدافه.

openkanal.com

وكذلك دوافعه التى تحركه فى الاتجاه الذى يوافق قيم المجتمع ومثله.

والمعلم فى إدارته لفصله الدراسى يحتاج إلى عمق فى شخصيته تجعله قادرا على جذب التلاميذ وعقولهم بل يمكن أن نذهب إلى ما هو أكثر من ذلك بأن نجعل هؤلاء التلاميذ شديدى التعلق به، يتألمون لغيابه ويسعدون سعادة بالغة لحضوره، وينتافس تلاميذ الفصول الأخرى المختلفة على أن يكون ذلك المعلم هو رائدهم، وحاضرهم فى كل وقت، إذا الفن عموما هو تواؤم الصفات الشخصية مع المهارات المكتسبة فى تطبيق أسس وأصول ومبادئ العلم، بحيث يؤدى ذلك التواؤم إلى تحقيق أفضل النتائج وبالأسلوب الذى يرضى احتياجات من هم فى موضع المتلقي.

ومن أهم سمات إدارة الفصل كفن ما يلي:

١ - القدرة على تغيير الإمكانيات الشخصية وفقا لمتطلبات الموقف التعليمي.

٢ - القدرة على التأثير المباشر على التلاميذ.

٣ - تحويل الموقف التعليمى الصامت إلى تفاعل متبادل إيجابي.

٤ - القدرة على الوصول إلى قلب التلاميذ جميعا أو غالبيتهم دون المساس بمشاعرهم أو قيمهم.

٥ - القدرة على كسب ثقة التلاميذ والإسهام فى زيادتها باستمرار.

كل ذلك يسهم بصورة أو بأخرى فى جعل إدارة الفصل مهنة ذات فن راقى يمكن من خلاله تغيير اتجاهات التلاميذ عن كل ما يرفضه المجتمع وثقافته وكذلك يسهم بغرس ما يريد المجتمع لمستقبله ومستقبل التلاميذ، مؤمنين تماما بأن الإدارة الفنية هى التى تعتمد على الأسس العلمية الثانية حتى يمكن الوصول بموضوعية كاملة إلى تحقيق الأهداف.

ثالثا إدارة الأهداف كمهنة

والآن ننتقل إلى الجزء الأخير من الإجابة عن التساؤل الذى أثرناه ويثيره الكثيرون أملا فى إيجاد إجابة شافية وافية لما يدور فى الصدور والعقول للوصول إلى قرار يرضى كل جاد ومخلص فى عمله، مؤمنا بقضية التعليم إيمانه بيومه وغده الذى ينتظره، ويحقق من خلال تلك الإجابة ردا فيه الدفاع كله ضد القائلين إن التعليم مهنة من لا مهنة له، وبذلك تنتهى تلك الأسطورة الكاذبة التى دخل بها الكثيرون، وساهموا بعدم إخلاصهم لتلك المهنة فى تعطيل المسيرة وإيقاف التقدم المنشود.

وإذا كان العالم كله الآن يؤمن بقضية التعليم كقضية أمن قومى يمكن من خلالها تحقيق النصر أو الاستسلام للهزيمة، وحيث إن العولمة هدف وأسلوب للدول المتقدمة فإن هدفها السيطرة وأسلوبها بسط تعليمها على الشعوب المتخلفة لذلك نحن نستعرض أصول المهن وما ينطبق منها على مهنة التعليم فيما يلي:

١ – المهنة نشاط تتداخل فيه المعرفة العقلية مع المهارة الشخصية.

٢ – المهنة نشاط له هدفه ووسائله المتعارف عليها.

٣– المهنة تختلف عن الحرفة كثيرا من حيث الأسس والقواعد.

٤ – المهنة تعتمد على الدراسة العلمية.

٥ – المهنة لها تدرجات وظيفية معترف بها مجتمعيا.

٦ – المهنة لها كيان ثقافى واجتماعى واضح ومحدد.

٧ – المهنة قابلة للنمو والتطور وفق نتائج العلم والتخصص.

٨ – المهنة تقتصر على أعضائها وترفض المتسللين إليها.

٩ – المهنة لها تنظيم نسقى معترف به من أنساق المجتمع.

١٠ – المهنة لها خصوصية ثقافتها التى لا يعرفها غير ممتهنيها.

ومن خلال هذا العرض الموجز لأصول المهنة يمكن القول إن جميعها وما يضاف إليها تنطبق على مهنة التعليم وبالتالى تصبح إدارة الفصل الدراسى جزء من عمليات التعليم وتنطبق عليها لفظة مهنة.

ومما سبق يمكن القول إن إدارة الفصل تجمع الأضلاع الثلاثة بصورة متساوية، فهى فى حاجة ماسة إلى الاعتماد على العلم والمعرفة باعتبارهما القاعدة الأساسية للتقدم فى عصر العولمة وبدونهم لا يمكن تحقيق الطفرة المنشودة لمقابلة تحديات عصر العولمة، وأن الإدارة العلمية فى أى من المجالات تحتاج إلى قسط متساوٍ من الفن يعتمد على الإمكانات الشخصية وذلك لتبسيط وتسهيل وتوصيل المناهج والمقررات إلى عقول التلاميذ بلا ملل أو سأم أو تبرم أو سخط منها، وهذا يحتاج إلى موقف جيد حتى لا تصبح البضاعة الجيدة فى يد غير واعية بأهميتها وبقيمتها فتضيع هباء، وبالتالى يسهم فى زيادة الفاقد التعليمى وهذا ما لا نرجوه ونعمل بكل جهد للبعد عن خطره.

وإذا اجتمع العلم والفن فى شخصية المدير للفصل الدراسى فإن ذلك يحقق المواصفات المهنية، ومن هنا نستطيع أن نحدد المسارات الجديدة لحركة التجديد الشاملة فى إدارة الفصل، ونقتلع تماما الأفكار القديمة والبائدة التى جعلت من مهنة التعليم قارب نجاة لمن أراد الهروب من غرق البطالة معتمدا على أنها لا تحتاج إلى مواصفات أو شروط، وبالتالى تسهل ممارستها وينخرط فى طياتها الكثيرون ولن تتحقق إدارة الفصل كمنظومة متكاملة إلا من خلال القناعة التامة لكل المعلمين بأن الفصل الدراسى يحتاج إلى جميع عمليات الإدارة من تخطيط جيد وتنظيم دقيق وتقويم موضوعى على طول العام الدراسي، وبذلك تصبح تلك العمليات فى غاية الصعوبة لمن لا يجيد الأسس والقواعد العلمية لتحقيقها.

وإذا قلنا فيما أن سبق الفصل الدراسى يمكن تحويله إلى مسرح وقاعة إجتماعات ومعمل علمى فإن كل ذلك يحتاج إلى خبير ينسق ويدير العمليات بصورة تتسم بالعقلانية والموضوعية وتحقق أمالنا وطموحاتنا فى تعليم أبنائنا.

أولا: أنماط الإدارات المقترحة لإدارة فصل عصر التغيرات العالمية

(أ) الإدارة الإنسانية

عند الحديث عن إدارة الفصل يجب أن ندرك أنها عملية شاملة لجوانب النمو المتعددة وأبرزها فى هذا المقام عمليات التعليم والتعلم كهدف واضح لدى المعلم والمجتمع والأسرة والتلميذ، وكذلك نشاطات التلاميذ نحو تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية، والمعلم الذى نعهد له بإدارة الفصل هو فى البداية والنهاية إنسان يعمل مع إنسان أى أنه لا يدير الفصل كمادة من جماد ولكنه يدير ميول متعددة ورغبات مختلفة وقدرات متباينة وفروق تتسع وتضيق من فرد إلى آخر، فهل يجدى فى مواجهة كل ذلك أن يدير المعلم فصله بأسلوب جامد واحد لا حركة فيه ولا تفاعل، إن ذلك يقضى تماما بأن تكون هناك أنماطا متعددة لإدارة الفصل الدراسى حتى تتحقق الأهداف، وإذا قلنا إن إدارة الفصل يجب أن تنطلق من العلاقات الإنسانية المحددة بموضوعية كاملة حتى يمكن إحداث درجة عالية من التفاعل بين المعلم والتلاميذ حتى يستطيع الجميع الوصول إلى قمة المعنويات التى تحفزهم للعمل والاستمرار فيه، خاصة إذا علمنا أن العملية التعليمية شاقة جدا وتتطلب جهدا كبيرا وصبرا مستمرا للوصول إلى الغايات والأهداف الكبرى، والإدارة الإنسانية ليست فكرة جديدة لم يسبقنا إليها أحد، على العكس تماما فقد ظهرت فكرة تلك الإدارة مع بداية القرن العشرين وحتى منتصفه على يد التون مايو فقد عارض ذلك العالم وجهة نظر فردريك تايلور الذى اعتبر الحافز الاقتصادى هو أهم الحوافز الإنتاجية خاصة إذا قورن بعوامل

أخرى نفسية وعاطفية وحسية، وقد كان التون مايو مهتما بدراسة علم النفس ولذلك انعكس على فكره الذى كان يؤمن تماما بالجانب المعنوى والنفسى فى توحيد المجتمعات وضرورة نبذ الكراهية بين الناس حتى يتحقق الحب الخالص وتحيا النفوس بعيدة عن السخط والتبرم والكراهية التى غالبا ما تحطم القوى الدافعة إلى العمل وتحول طاقة الإنسان من البناء إلى الهدم.

وقد أكدت تجارب التون مايو على أهمية الصداقة والانسجام باعتبارهما يخلقان نوعا من المسئولية الجماعية التى تحفز إلى العمل بغير رقابة مشددة.

وإذا كان (مايو) استطاع أن يؤكد فكرة العلاقات الإنسانية فى رفع الروح المعنوية العالية للفرد، فلاشك أن الإسلام قد سبق ذلك العالم بقرون عديدة فى تأكيد أهمية ذلك الجانب وضروراته، فقد دعا الإسلام إلى التسامح والعفو كضرورة لنبذ العداء وإحلال السلام فى قوله تعالى ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ سورة فصلت – اية ٣٤، هذا تأكيد سماوى للإنسانيات والرقى بها ودفع الغبن والحمق عن النفس حتى تلتئم القلوب وتتجمع فى محيط واحد، حيث ذكر الله فى كتابه الشريف مادحا رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ سورة آل عمران – اية ١٥٩ فهذه إشارة لكل معلم له فى رسول الله قدوة حسنة أن يعتمد فى إدارته لفصله على المعنويات الإنسانية واضعا فى ذهنه حدودها ومقدارها مؤكدا أهميتها وكيفية تحقيقها، والإدارة الإنسانية مطلب أساسى فى عصر الماديات المتعولمة التى أسهمت بإخراج الإنسانية من الإنسان وأسباغ الذاتية المادية عليه حتى زادت من سمك البشرة الآدمية فلم يعد للإحساس مكانا ينفذ منه نوره وشعاعه.

لذلك حاولنا فى هذا المقام أن نبدأ بهذه الإدارة كرد فعل مساو لقوة الماديات التى صاحبت انتشار فكر العولمة وتغيير العديد من المفاهيم الثابتة عن

المعنويات الإنسانية واتهاماها بأنها نوع من الضعف الإنسانى الـذى يجـب أن ننتصر عليه.

والإنسان هو محور الفصل الدراسى سواء كان ذلك الإنسان هو المعلم بما يحويه من عوامل إنسانية أو تلاميذ بما يحتاجونه من معاملة إنسانية تنمى فـيهم الجانب المعنوي.

وإذا عرجنا إلى موضوع العلم والتعليم فكلاهمـا أشـياء معنويـة متعلقـة بالجانب اللامادي، ولا يمكن لأحد أن يثبت أن الجانب العلمى يعبر عن ماديـة مطلقة فالعلم نور، والنور معنى لا يمكن حسه ماديا، ولا يستطيع أحد أن ينكـر أهميته وحقيقة وجوده، فإذا كان العلم معنى فهو يحتاج إلى قمة الإنسانيات فـى توصيله للآخرين، ولأن أجهزة الإرسال والاستقبال الإنسانية لهذا الأمـر كلهـا أشياء معنوية فالإنسان يعلم ويتعلم بسمعه وبصيرته وعقليته، وتلك أشياء معنوية بالدرجة الأولي، فهناك العديد من البشر يملكون مقوماتهم الماديـة ولا يملكـون معنوياتهم وبالتالى فهم غير قادرين على الاستفادة من التعليم ويبقوا مـرتبطين بالجهل والأمية.

والأكثر من ذلك إنسانية أن الإنسان الذى تعلم العلـم عليـه أداء سـلوكه، وسلوك المتعلم الخشية والحياء والرحمة والفداء، وتلك أمور حـددها قـول الله تعالى ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ سورة الزمـر- ايـة ٩، وقوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ سـورة فاطر آية ٢٨ وقوله تعالى ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّـذِينَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ دَرَجَاتٍ**﴾ سورة المجادلة – اية ١١ والمستوعب لكلام الله عن العلـم والعلمـاء يتأكد من الجانب الإنسانى له وبذلك لا تقبل النفس الإنسانية أن يتم تعليمها بغير ذلك المطلب.

ومن هنا نؤكد أهمية الإدارة الإنسانية فى تحقيق أهداف التعليم العليا بل والمطلقة والتى لا يختلف عليها العدو أو الصديق.

ونستعرض مقومات الإدارة الإنسانية فى الفصل الدراسي

١ – الإيمان بالإنسان كقيمة عليا والعمل على احترامه كغاية فى ذاته.

٢ – تحقيق المشاركة الفعالة لجميع الأفراد بغض النظر عن اللون والجنس والمكانة.

٣ – تكافؤ الفرص فى الحقوق والواجبات بحيث يشعر الجميع بالعدالة ولو فى الظلم.

٤ – الإيمان بالفروق الفردية والعمل على الاستفادة منها لتحقيق التكامل فى المجتمع.

٥ – تشجيع التلاميذ على النمو المتكامل من خلال تقبل أفكارهم وآرائهم تحقيقا لقدرة الإنسان على الإبداع والابتكار.

٦ – عدم تقسيم التلاميذ داخل الفصل لأى من الأنشطة على أساس المكانة الاجتماعية والاقتصادية بل يجب أن يتم التقسيم على أسس التقبل والاختلاف النوعى للذكاء.

٧ – تحقيق مبدأ الأمن والأمان لجميع التلاميذ للتعبير وإبداء الرأى فى الأمور التى تتعلق بمستقبلهم.

٨ – تقديم مبدأ الثواب دون العقاب للأخطاء الإنسانية غير المقصودة والتى يلتزم فيها التلاميذ بعدم التكرار.

وإذا كان ما سبق أن ذكرناه مقومات للإدارة الإنسانية فى الفصل الدراسى فمن الضرورى أن توضح متطلبات وفعالية الإدارة الإنسانية فى الفصل الدراسي.

١ – أن يتميز المعلم بوضوح تام فى شخصيته حتى يتمكن التلاميذ من رؤية مجامع إنسانيته بلا خوف أو تمادي.

٢ – أن يتمتع المعلم بخبرة عالية فى إدارة الفصل حتى يتمكن من التفاعل الموجب مع التلاميذ.

٣ – أن يملك القدرة على تنظيم العمل بالصورة التى تسهم فى تحقيق الأهداف.

٤ – أن يبتعد المعلم عن الروتين والرتابة فى صياغة نماذج التدريس.

٥ – أن يكون حاضر البديهة سريع الاستجابة ليتوافق مع المواقف المتغيرة فى الفصل.

ويمكن للتلاميذ أن يكتسبوا العديد من السمات السلوكية الجيدة لإدارة المعلم لفصله بإحساسه الراقى وتفاعله الإنسانى الإيجابي، وتسهم تلك الإدارة فى جعل التلاميذ أكثر قدرة على الاستجابة للمواقف التعليمية، ونوضح المردود الإيجابى للإدارة الإنسانية على التلاميذ فيما يلي:

١ – زيادة مساحة الحرية فى التعبير عن مدى الاستجابة للمواقف التعليمية.

٢ – التمسك بالعلم والحرص على الإستفادة منه برغبة وليس رهبة.

٣– زيادة القدرة على الإبداع والابتكار عند التلاميذ.

٤ – الرغبة فى مزيد من التعلم على يد المعلم الذى يتسم بالروح المعنوية العالية.

٥ – التحلى بالآمال وعدم اليأس من المشكلات التى تعترضه.

ومن ثم يمكن القول إن الإدارة الإنسانية مطلب عصر لعصر العولمة، وتكون أكثر فعالية إذا أمكن تقنين مساراتها وطبيعتها حتى لا تتحول الإدارة الإنسانية فى الفصل إلى نوع من المجاملة الذاتية التى تفقد مصداقيتها عند أول رد فعل معاكس للعلاقات الإنسانية.

openkandil.com

ويمكن بهذه الإدارة أن نؤكد أن الأضلاع الثلاثة لمثلث الإدارة من علم وفن ومهنة وإثبات خصائص كل ضلع بما يحقق الفائدة المشتركة فيهم جميعا.

(ب) الإدارة التكنولوجية

شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين انفجارا هائلا فى المعارف وتطبيقاتها حتى أصبح هناك تكدس معرفى مساو للتكدس الإنتاجي، وقد ساهمت هذه الانفجارات فى قلب الكثير مما نعرف رأسا على عقب، حتى أصبحنا ننتظر كل يوم إضافات فذة وسريعة، سواء على مستوى المفاهيم النظرية أو على مستوى التطبيق والطريقة، وقد ترتب على هذا الانفجار المعرفى أن أصبح كل فرد فى المجتمع المحلى أو القومى أو العالمى بما يعرف ويعلم ويعمل متقادما أمام الجديد الحادث والجديد المنتظر.

ولاشك أن ذلك كله أصاب الإنسان بالهلع والقلق الشديد مما جعله يفقد الاتزان العقلى فى أمور كثيرة لاعتماده على التكنولوجيا التى سيطرت على كل المجالات وأصبح على المعلم خاصة أن يسرع فى تنمية ذاته بكل الوسائل ليتابع الحاضر الذى يعيشه استعدادا للمستقبل الذى سيعيشه خوفا من أن يتخلف فى أحضان الماضى الذى عاشه لمسايرة التطور والإسهام فيه تحقيقا للتكيف مع السرعة العالمية التى سيطرت على فكر العالم.

والمتتبع للنشاط التكنولوجى فى العالم يتأكد أنه أصبح ذو طابع فريد فى هيكله وفى طرائقه خاصة من حيث العلاقات الجديدة التى استحدثتها تلك الأنشطة التكنولوجية ولقد تحول العمل التكنولوجى من اهتمام على مستوى الفرد، ومن حرفة يمارسها الأفراد إلى عمل مهنى يتم فى منظمات على أسس ومبادئ وقواعد تجرى فى معاهد متخصصة على مستوى الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي.

وانطلاقا من التكنولوجيا كوظيفة ذات طابع خاص أنشئت حديثا الكثير من المعاهد المتخصصة فى الإدارة والتكنولوجيا حتى أصبحت تلك المعاهد ذات شهرة واسعة وعليها إقبال شديد لدى العديد من المتطلعين إلى العمل القيادى الإداري، وتلك طفرة جديدة فى نظريات الإدارة والتنظيم وإستطاع الفكر التكنولوجى أن يصبح نشاطا متخصصا حسب نوع التخصص، ونحن هنا نهتم بالتخصص الإدارى بشعبة التعليم النظامى فى حدود الفصل الدراسي، وإذا اعتبرنا أن الفصل الدراسى نسقا إنتاجيا للمعرفة والعلوم فمن الضرورى أن تكون الإدارة التكنولوجية أحد القواعد التى يمكن الاعتماد عليها للخروج من طائلة الإدارة التقليدية التى لا تناسب متطلبات العصر وتطلعاته.

وقد يقصد البعض أننا نريد بالإدارة التكنولوجية ميكنة الفصل وتحويله إلى تنظيم مبرمج ونسيطر عليه اليا، ولكن ذلك لم يكن مطلقا فى مخيلتنا، وإنما نريد بالإدارة التكنولوجية ببساطة أن يدار الفصل الدراسى إجرائيا لتحقيق الأهداف المطلوبة من تواجد التلاميذ فترة ليست قصيرة على مستوى اليوم الزمنى وكذلك على مستوى العام الزمني.

والخطوات الإجرائية للإدارة التكنولوجية تتمثل فيما يلي

١ – أن يعرف كلا من المعلم والتلميذ حاجته من الآخر وفق نظام محدد ثابت إلى حد ما.

٢ – أن يكون الهدف واضحا للعمل الذى يؤديه المعلم والذى يستفيد منه التلميذ.

٣ – أن يتعرف المعلم والتلميذ على الخطوات الأساسية التى ينبغى أن ينفذها المعلم لتحقيق الأهداف المطلوبة.

٤ – يتم اتباع مراحل إجرائية أساسية للوصول إلى المطلوب.

٥ – معرفة العوائق والمشكلات التى تعترض تحقيق الأهداف.

٦ – توزيع المسئوليات على أعضاء الفصل توزيعا محددا واضحا بحيث يتكامل فى النهاية العمل ويحقق الهدف المطلوب.

وإذا كان هناك اعتراض على تلك الخطوات لتحقيق إدارة تكنولوجية فى الفصل الدراسى باعتبار أن الفصل لا يضم مجموعة من الالات والمعدات ذات التشغيل الثابت والمحدد، ولكن مع ذلك يمكن الرد على المعترضين أن التفكير العلمى باعتباره أحد أسباب النهضة الإنسانية كلها فى كل مكان يعتمد على إجرائية ثابتة ومحددة، وخطوات واضحة لا يمكن الحيدة عنها، ونحن بذلك لا ننكر أن نفكر لتحقيق الأفضل، ونطلب من الآخرين الزيادة أو الحذف أو التعديل للوصول إلى أعلى درجة من التقدم الإدارى للفصل الدراسى باعتبار أن إدارة وحدة الفصل تمثل قمة النجاح أو الفشل فى تحقيق الأهداف العامة والخاصة للمرحلة والتلميذ، وبالتالى يكون العائد كبيرا وواضحا للمجتمع بأكمله.

وإذا كانت الإدارة التكنولوجية مطلبا نرجو تحقيقه فنحن بذلك نتوافق مع عصر العلوم والمعرفة ولا يجوز بأى حال من الأحوال أن تكون التكنولوجيا عاملا أساسيا فى التقدم والنهوض بأسباب الحياة المختلفة ونحن نرفضها كشكل ومضمون فى الإدارة المدرسية والصفية وإذا تخلفنا عن ذلك فنحن نربط أنفسنا بتقليدية القرون الماضية التى لا تصلح مطلقا كفكر وتنفيذ فى عصر العولمة الذى اعتمد على التكنولوجيا فى التمهيد لأفكارها وتنفيذ مبادئها، ونحن كما قلنا شئنا أم رفضنا فإننا مقبلون على العصر من منطلق أن ندخل بمشيئتنا ومعنا الزاد والعتاد حتى نتعامل مع الأعداء والأصدقاء بمنطق التساوى فنكسب احترام الأصدقاء ويخشانا الأعداء.

وبالرغم من أن مسمى الإدارة التكنولوجية يكون غريبا على الساحة التربوية ولكن إذا أردنا أن نؤكد أن الفكر التنظيمى فى مجالات الإدارة المختلفة يمكن الاستفادة به فى الإدارة المدرسية، ومع ذلك نحن لا نفكر مطلقا أن التكنولوجيا مهما تقدمت يمكن أن تلغى قيمة الإنسان باعتباره هو مصممها وقائد تطورها والمستفيد منها، وهؤلاء التلاميذ الصغار يتعاملون مع التنظيم الإجرائى

للإدارات التكنولوجية فى معظم ألعابهم، وبالتالى عندما ننتقل من التنظيم الإجرائى للعب إلى التنظيم الإجرائى للعمل يكون ذلك أكثر نفعا للصغار، وأفضل وسيلة فى تحقيق إجرائية الوصول للأهداف، ومن خلال ذلك يمكن معرفة العيوب التى تسهم فى التعطيل والبحث عن وسائل جديدة لتطويرها والعمل على زيادة الدفع التنظيمى للوصول بإدارة الفصل إلى المستوى العالمي.

وإذا أردنا أن نحيل الإدارة التكنولوجية إلى نظرية فأقرب شيء لها هى نظرية العالم (برنارد) التى يطلق عليها نظرية التعاون وهذه النظرية قائمة على أن أى فرد له هدف يريد أن يحققه من عمله وتعاونه مع الآخرين أى أنه يوجد فى نظام تعاونى أى أنه لابد أن يفيد ويستفيد، والصورة التكنولوجية لذلك هى مجموعة تروس الالة التى تعمل فى نظام محكم لكى تؤدى دورها فى تعاون تام وكامل من أجل تحقيق الهدف.

وقد أوضحت هذه النظرية (نظرية التعاون) أن العالم يحقق تقدما مذهلا فيما يتعلق بمختلف مجالات العلوم خاصة التطبيقية من خلال الاعتماد على نظرية التعاون.

وتستطيع الإدارة التكنولوجية تحقيق الكثير من الآمال التى نرجوها لأبنائنا حين يتم العمل فى إجرائية تامة تحقق لكل فرد دورا ملموسا يحققه من خلال الانسجام التام للحركة الكلية وحتى تكون على الدرجة المطلوبة من الإجرائية التى نرجوها للإدارة التكنولوجية توضح أهم المقومات الأساسية لتلك الإدارة وفعاليتها فى الفصل الدراسى فيما يلي:-

١ - الإيمان بالفرد كإنسان فى نسق الجماعة بالفصل.

٢ - تحقيق ذاتية الفرد من خلال تعاونه فى الجماعة.

٣ - الإيمان بإجرائية التنظيم للوصول إلى الأهداف ومراعاة البعد الإنسانى.

٤- إعتبار الفروق الفردية جزء من المنظومة الإجرائيـــة لتـــسهيل العمـــل وتحقيق الهدف.

٥ - إقرار مبدأ التعاون التام بين أعضاء الجماعة فى الفصل لإثبات التفاعل المستمر بينهم.

ويستطيع المعلم أن يكسب تلاميذه العديد من العادات والتقاليد العصرية من خلال إدارته الفصل بالفكر التكنولوجى غير مستبعدا إنسانيتهم للوصـــول إلـــى العالمية بغير انفصال عن عالمهم القومى والإيمان بتراثهم الوطنى ومن أهم تلك الانعكاسات على التلاميذ ما يلي:

١ - إثبات ذات التلميذ فى الجماعة وتحمله المسئولية من غير تردد ولا خوف.

٢ - زيادة مساحة الحركة عند التلاميذ لقيامهم بأدوارهم بإجرائية عالية.

٣ - زيادة درجة الاتصال بين التلاميذ لحاجة كل منهم للآخـــر وفـــق نظريـــة التعاون.

٤ - إيجاد تفاعل صحى بين مجموعة التلاميذ من خلال تحقيـــق مبـــدأ الأخـــذ والعطاء.

٥ - القدرة على تطوير الأداء من خلال شبكة التنظيم الإجرائية.

ويمكننا بعد ذلك العرض أن نشير إلى أهمية وضرورة الخروج من دائـــرة الفكر الضيق للتقليدية التربوية حتى نستطيع أن نلحق بفكر العالم المتقدم ونصل إلى ما نرجوه من خير العولمة والابتعاد بسرعة عن شرها.

الإدارة العلمية

إذا عدنا إلى فكرة الإدارة العلمية فى المدارس الإدارية يجـــب الاعتـــراف بفضل فردريك تايلور الذى يعتبره علماء الإدارة أبو الإدارة العلمية، حيث كـــان

يبذل جهدا كبيرا لتحقيق الكفاية بشتى صورها وفى أى مجال ولم تسلم من فكرة الإدارة العلمية حتى لعبة البيسبول الأمريكية والتنس، وقد استطاع بفكره أن يزيد الكفاية الإنتاجية حتى فى اللعب والترفيه.

والإدارة العلمية فى نظر تايلور تحتاج إلى ثورة عقلية لدى جميع من يقومون بمهمة الإدارة على اختلاف مجالاتها، وبدون تلك الثورة تصبح العمليات الإدارية عقيمة نمطية لا تقدم جديد ولا تفيد، كما يرى تايلور أن النجاح المستهدف فى الإدارة فى حاجة مستمرة إلى اكتشاف أساليب جديدة وفنية.

وعلينا أن نقف كثيرا عند اكتشاف أساليب جديدة وفنية فى نجاح عمليات الإدارة حتى يمكن أن ننقل هذه الفكرة كما هى إلى الإدارة الصفية مؤكدين أن الإدارة التقليدية النمطية لا تحقق أى جديد ولم تقدم لنا ما نريد خاصة ونحن نخطو سريعا إلى العالمية فى عولمتها، وإلى القومية بوطنها وإلى المحلية بملامحها، فلا يمكن مطلقا أن نظل مقيدين فى أغلال قيود السيطرة الديكتاتورية فى إدارة عقول التلاميذ بالفصل ونطلب منهم الانطلاق إلى عالم الفضاء المفتوح الذى يمطرنا بوابل من الثقافات المتعددة والعلوم المعرفية فى كل لحظة وثانية.

وإذا كنا فى مصر والعالم العربى نتسابق مع العالم فى الوقوف على قدم المساواة فى امتلاك جزء من الفضاء لكى نتحكم فى الحفاظ على تراثنا ونحمى أبناءنا من غزو الثقافات المدمرة لثوابت وأصول تراثنا، فلابد أن يكون ذلك مبنيا على نظرية علمية لها أسسها وقواعدها لكى نستطيع أن ننطلق إلى التقدم الذى لا بديل لنا عنه، ولا سبيل لنا إليه إلا بالعلم الموضوعى الذى يعترف به العالم معنا مؤكدا لنا احترامه التلقائي.

وقد أضاف هنرى تايلور للمدرسة العلمية والإدارة أسس وقواعد وصلت إلى النسب المئوية الدقيقة للقدرات التى يجب أن يتصف بها الأشخاص العاملين

فى الإدارات الإنتاجية، وهكذا تتابعت الجهود التى تحكم العقل، وتستند إلى المسلك العلمى الواضح فيما يتعلق بالمشكلات الصناعية والاجتماعية.. حتى يعمل العلم والعقل بدلا من التبريرات الوهمية للقرارات النظرية، وقد انعكست بحوث الإدارة العلمية على الإدارة التعليمية والمدرسية حتى وصلت إلى إدارة الفصل الدراسى منطلقين من أن طبيعة الإدارة التعليمية واحدة ولذلك حاول مورث فى كتابه مبادئ الإدارة المدرسية وتتلخص فيما يلي:-

١ - الثقافة التى تعمل فى إطارها المدرسة هى مجموعة من الاعتبارات قابلة للتحديد.

٢ - تستند هذه الاعتبارات القابلة للتحديد إلى قاعدة معقولة والتى تعنى الحكم على الأشياء بصورة عقلية صائبة وحصيفة حتى توضح فى صورة مبادئ تكون مرشدا وهاديا للتطبيق العملي.

٣ - هذه المبادئ يستمر إجراء الاختبارات عليها حتى يمكن إصدار أحكام عن نتائجها إما لصالحها أو ضدها، وذلك حتى يمكن الاطمئنان إلى سلامة الإجراءات التى ستتخذ.

٤ - يمكن أن تتخذ التطبيقات التى تتم لهذه المبادئ أمثلة لترشيد المادة الدراسية وعلى وجه الخصوص فى التعليم التطبيقي.

وقد ركز الباحث عن الإدارة المدرسية العلمية على أهمية استخدام العقل والإسهام العقلى السليم لتقرير المفهوم الحقيقى للاعتبارات التى يمكن الاعتماد عليها فى تحقيق سلوك متوازن.

إن كل ما سبق يؤكد لنا أن الإدارة العلمية يمكن الاعتماد عليها فى إدارة الفصل، وإذا كانت هناك حاجة إلى تعديل بحيث تناسب ظروف الإدارة المدرسية أو التعليمية فذاك شيء غير صعب ويمكن إعادة صياغته بما يناسب

حاجة المعلم والتلاميذ ويحقق لهم زيادة الكفاية الإنتاجية إذا اعتبرنا الفصل الدراسى وحدة إنتاجية باعتبار أن التعليم استثمار قابل للعائد والفاقد، فلا ضير مطلقا من الاعتماد على النظرية بل نحن أحوج الأمم إلى مثل هذه النظرية للقضاء على كثير من العادات والتقاليد الخرافية التى ورثها التلاميذ من الوالدين والإصرار والعمل بعقلانية فى إحداث طفرة سلوكية جديدة تناسب عصر العولمة وما يحويه من الات ومعدات ذات تقنية عالية لا تقبل التعامل معها إلا بعلمية مساوية لإمكاناتها.

ومن أهم منطلقات الإدارة العلمية للفصل الدراسى ما يلي:

١ – التلميذ فى الفصل يمثل وحدة عقلية قابلة للتعامل مع الإدارة العلمية.

٢ – الفروق الفردية بين التلاميذ تحتاج إلى إدارة علمية جيدة قادرة على توجيهها فى الطريق الذى يحقق لهم ولوطنهم الخير.

٣ – التغيرات النفسية والمزاجية التى تحدث للتلاميذ فى أوقات مختلفة موضوع يخضع للإدارة العلمية.

٤ – زيادة درجة الذكاء موضوع علمى بحت ويحتاج إلى إدارة علمية للتعامل معه.

٥ – التأخر الدراسى والتخلف العقلى من الموضوعات التى تحتاج إلى دعم علمى كامل للوصول إلى أفضل الوسائل للعلاج والتعامل معها.

تلك أهم المنطلقات التى يمكن من خلالها إقرار أهمية الاعتماد على فكرة الإدارة العلمية بصورتها التى طبقت فى الإدارات المختلفة لزيادة الإنتاج ورفع الكفاءة الكلية ونحن فى عالم الإنتاج الكثيف والجودة الشاملة مطالبين بضرورة التعامل مع وحدة الفصل الدراسى على نفس المستوى بل وأعلى كثيرا.

والإدارة العلمية تحتاج إلى متطلبات خاصة فى المعلم نوجزها فيما يلي:

١ – الموضوعية والتعامل مع جموع التلاميذ فى تطبيق الأسلوب العلمى والبعد تماما عن الذاتية.

٢ – الاهتمام الكبير بنتائج الأبحاث العلمية فى مجال الممارسة والتخصص الذى يعمل منه.

٣ – الجرأة وعدم التردد فى تطبيق نتائج البحوث العلمية التى يقرها المسئولون فى الوزارة.

٤ – تشجيع التلاميذ على الابتكار والإبداع فى المواقف التعليمية واعتماد الصائب منه كجزء من الحركة العلمية العالمية.

٥ – تكوين منتدى علمى من جماعة الفصل بما يحقق الإثارة العلمية والبحث العلمي.

ومهما تحدثنا عن النظرية العلمية دون أن تكون هناك قناعة تامة لدى المعلم بضرورة الاعتماد عليها فى إدارة الإنتاج فى فصله فإن ذلك يصبح كلاما فى الهواء لا يستنشقه أحد وبالتالى لا يحدث الدورة العقلية للمعلم الذى نرجو له الجرأة التامة فى تحديث كل الطرق حتى يصل إلى أفضلها.

(د) الإدارة بالمشاركة

لم يعد للمعلمين فى الفصول نفس السيطرة والسطوة التى كانت لهم فيما مضي، فقد كان التلاميذ فى الماضى يشكون من قسوة المعلمين وديكتاتوريتهم وعدم إستجابتهم لمطالبهم وكان أولياء الأمور يخففون الوطأة عن أبنائهم بمجموعة من الكلمات والعبارات مفادها أن المعلم دائما حريص على مصلحة أبنائه التلاميذ ولو ترك لهم الحبل على الغارب لما استفادوا منه، وبالتالى فإن قسوته رحمة لهم وعذابهم منه شفقة على مستقبلهم، وحيث إن التلاميذ لا يملكون

من الأمر شيئا فإنهم كانوا يعتقدون فى صحة نصائح أولياء أمورهم لهم ويجلسون داخل فصلهم وكأن على رأسهم الطير لا حركة ولا كلمة. ومن تسول له نفسه لإحداث ذلك الجرم فإن العقاب ينتظره ولن يشفع له ذكاؤه ولا زملاؤه أو حتى أولياء أمره، كل ذلك واقع فى الزمن الماضي، ولكن رذا نظرنا لمعلم اليوم وتلاميذه داخل الفصل فإن الحال غير الحال والموقف ليس هو الموقف السابق وكأنه حق عليهم قول الله سبحانه وتعالى ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ سورة آل عمران – آية (١٤٠) فانقلب الأمر رأسا على عقب وأصبح المشكو منه هو الشاكي، وظالم الأمس فى نظر التلاميذ هو المظلوم.

وإذا كان الحال تغير تماما ولم يعد معلم الأمس هو معلم اليوم مطلقا لأن خبرات التلاميذ وحراكهم ساعدهم على عدم قبول ديكتاتورية المعلم وسطوته بل وعارضوها بشدة ووقفوا سدا حائلا دون انزال العقاب بهم، وتطور الأمر إلى أبعد من ذلك حفاظا على العلاقات الإنسانية التى يجب أن تسودهم، فقد قررت القيادات المسئولة عن التعليم إلغاء منطق الضرب تماما "إلا فى جدول الضرب" حفاظا على إنسانية التلاميذ وأمرا إداريا تربويا بأن يتحول المعلم من الجلاد القابض على العصا إلى ساحر قابض على قلوب التلاميذ حتى يرغبون فى وجوده، ويحترمون حدوده، ويفعلون بالحب ما يأمر به لصالحهم، ويرفضون بالفعل ما لا طاقة لهم به.

تلك الأمور وما اعتراها من تغير تحتاج إلى فكر جديد وأسلوب فريد فى إدارتها حتى يكون التلاميذ مع المعلم لا عليه.

وإذا كانت ظروف الحياة كلها تغيرت مع المد الديمقراطى فى العالم كله واحترام الحريات فى كل مكان بعيدا عن الجنس أو اللون أو المكانة الاجتماعية فإن ذلك يعنى أن إنسانية الفرد هى الأهم دائما والمطلوب مراعاتها والحفاظ

على قدسيتها، ومن ثم عدلت كثير فى القوانين الدولية فى بعض الأحكام التى تقيد الحريات وتحرم الإنسان من التعبير عن الرأى والحركة.

والفصل الدراسى أحد أنساق الجماعات الإنسانية بل وأهمها لأنه يكسبهم ما نريد لهم فى المجتمع وتصبح جريمة كبرى أن نقول شيئا ونعلم الصغار أو نعاملهم بصورة مخالفة عما نريد منهم فى المستقبل، فإن هذا التناقض يقضى على شخصيتهم ويحرمهم حرية الإبتكار والإبداع الحقيقى بل ممكن أن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فإنه يحرمهم الشعور بالظلم، وأظلم ظلم هو عدم شعور الإنسان بالظلم الواقع عليه.

ويصبح من الضرورى على المعلم أن يختار من الطرائق والأساليب التى تجعل له مكانة عالية فى قلوب التلاميذ لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولن يكون ذلك حتى يستطيع المعلم أن يشاركهم فى الرأي، ويحاورهم فيما يطلبون، ويحقق لهم ما يتمنون بشروط السلامة والثقافة ويكون توجيه العمل أفضل كثيرا بالاستشارة العلمية، والاستشارة الجماعية من القسر والإرغام وأن يعطى المعلم اهتماما صادقا بظروف التلاميذ وحاجاتهم كبشر لهم متطلباتهم وهى تختلف من وقت لآخر ومن مكان لآخر، حتى يدخلوا حظيرة علمه، ويفتحوا قلوبهم له فيدخل المعلم فيها شارحا موضحا قائدا ودليلا وموجها وبشيرا.

وعلى ذلك يجب أن يراعى المعلم مسئولية رسالته، ويشاور أبناءه التلاميذ فى أمر تعليمهم الذى يخصهم، وأن يعمل على الاستجابة لما هو فى صالحهم باعتبار أن مشاركتهم أمرا ومطلبا عادلا يستفيد منه المعلم قبل التلاميذ، ويسعد المعلم والتلاميذ، وبذلك تصبح عملية التربية والتعليم عملية شركةمساهمة يستطيع كل فرد من جماعة الفصل أن يساهم بقدر ما رزقه الله من إمكانات وقدرات فى بناء امال الجماعة والمجتمع.

وأهم الإجراءات والخطوات الإجرائية للإدارة بالمشاركة تتلخص فيما يلي:

١ – الإيمان الكامل بأن الرأى الجماعى أفضل كثيرا من رأى الفرد.

٢ – الاهتمام برأى الأغلبية فى القرارات باعتباره مشاركة جماعية.

٣ – استشارة جماعة الوسط باعتبارهم غالبية التلاميذ فى ذكائهم ودفعهم إلى مستوى الأذكياء بالوسائل المتاحة.

٤ – إدارة الفصل بطريقة القيادة الجماعية مع احترام تنظيم العمل على مستوى كل تلميذ.

٥ – الاعتماد على المشاركة الجماعية ليس كوسيلة ولكن كهدف نسعى إلى تحقيقه وتثبيته لدى الجميع.

وقد استطاعت دولة اليابان أن تتقدم العالم كله بتعليم أبنائها عن طريق المشاركة الجماعية، حتى أصبح الفرد لا يستطيع عمل شيئا بمفرده، وبذلك قضت على آفة الشعوب وهى الأنانية والتسلط، وأسهمت المشاركة فى مزيد من الابتكارات والاختراعات حتى أصبح التعليم فى اليابان هو المقياس العلمى للتقدم التعليمى فى كل دول العالم.

ويحتاج المعلم لتحقيق هذا النوع من الإدارة أن يكون على درجة عالية من المهنية التربوية ليتحقق:-

١ – الوعى التام بأهمية تقسيم العمل فى الفصل على التلاميذ سواء كان هذا العمل عقلى أو عضلي.

٢ – أن يدار العمل الذى تم تقسيمه بأسلوب علمى يؤدى إلى مزيد من التطور.

٣– أن يحقق المعلم سلطة معنوية تمكنه من السيطرة على الصدام المحتمل أو الثورة المدمرة.

٤ – أن يتحلى بالصبر والثبات لامتصاص الحركات غير المقصودة من التلاميذ أثناء المشاركة والتشاور.

٥ – أن يلزم الجماعة أن تكون مشاركتها فى الحدود المرسومة لكى تحقق الأهداف فى موعدها وبذلك يمكن القول إنها أحد المقترحات التربوية لإدارة فصل فى عصر أزيلت فيه الحدود والمسافات.

الإدارة البيئية

قد يبدو الأمر فى غاية الغرابة للمعلم أو القارئ المتخصص أو القارئ العادى فى اختيار هذا المقترح لإدارة الفصل، ويكون فى حيرة وقلق لتناول هذا الموضوع بتلك الصورة، وقد يسأل كيف ولماذا اختار الإدارة البيئية كأحد المقترحات الأساسية فى إدارة الفصل الدراسي؟ وما هى العلاقة بين فصل يتعلم فيه التلاميذ وبيئة عرفها العلماء وحددوها بمفاهيم ثابتة؟ فإذا كانت تلك هى الأسئلة التى تدور فى ذهنك فإنك لن تختلف معنا مطلقا، ولكن سوف تؤيد رأينا وتتمسك بقولنا فى ضرورة أن تكون هناك إدارة بيئية للفصل الدراسي، كيف، هكذا.

ويؤكد علماء البيئة أن الجماعة الإنسانية تعيش فى ثلاث منظومات رئيسية يتمثلوا فيما يلي:

١ – المحيط الحيوى وهو الغلاف السطحى من الأرض اليابسة والطبقات السطحية من المجموع المائى والطبقات السفلى من الغلاف الجوي.

٢ – المحيط المصنوع وهو كل ما أنشأه الإنسان من قرى صغيرة حتى المدن الكبيرة والطرق ومراكز الصناعات وكل ما استخدم فى صنعه الوسائل التكنولوجية.

٣ – المحيط الاجتماعى وهو مجموعة النظم والأدوات الاقتصادية والأعراف الاجتماعية، والأدوات الإدارية والتشريعات والمؤسسات التى تنتظم فى إطارها حياة الجماعة الإنسانية.

المنظومات الرئيسية الثلاث

(١) المحيط الحيوى

أرض – ماء – هواء

(٢) المحيط المصنوع

قرى ومدن – طرق وكبارى – مصانع ومراكز

(٣) المحيط الاجتماعي

نظم – أعراف – تشريعات

تلك المنظومة البيئية التى يعيش فيها كل إنسان فى أى مكان وتحت أية ظروف ولا يكون الاختلاف إلا فيما حوره الإنسان كى يتلاءم معه ويستطيع الإنسان أن يحقق استفادة أكبر من خلال ذلك التحوير الذى هو فى صالحه وبشرط ألا يغير البيئة شيئا.

وإذا كانت البيئة محور حياة الإنسان ومجال عمله ومثار تفكيره وصديقته الودود، وعدوته اللدود أليس من الأفضل أن تكون إدارتنا نابعة من تلك المنظومات الثلاث كى تحقق أعلى درجة من التفاعل الذى يسهم فى إسعادنا والحفاظ على مقدرات بيئاتنا.

والإنسان يعيش فى إطار المنظومات الثلاثة ويتأثر بتفاعلها ويؤثر فيها كما أن هذه التفاعلات جملة معقدة، فالمحيط الحيوى يؤثر على حياة الإنسان ويتأثر

obeikandl.com

بنشاطه على نحوها، أما المحيط الاجتماعى فبالرغم من أنه من صنع الإنسان إلا أنه واقع تحت تأثيره بصورة مباشرة وغير مباشرة، ويتحكم فى سلوكه.

فإذا كانت البيئة فى كل ما سبق لها من القوة والجبروت ما يتطلب فى كثير من الأحيان التصالح معها خوفا ورهبة، أليس ذلك شيء يستحق أن تدار العقول حوله وأن نستلهم منه الخير الذى نريده حتى نبتعد عن الشر الذى نخافه.

وكم يكون ذلك جميلا أن تكون إدارتنا التربوية فى الفصل منطلقة من البيئة، فيحسن التلاميذ التعلم مع بعضهم، والتفاعل مع بيئتهم فيخدم كل واحد منهم زميله ويقدر ما لديه من إمكانات ويعترف إيمانا بأنه فى حاجة إلى تلك الإمكانات، كما أن الزميل له نفس الظروف وهو فى حاجة إلى الذى احتاجه.

والشيء الذى لا يقبل الجدل أوالمناقشة هو أن نعترف بأن الفصل وحدة بيئية اجتماعية واحدة، وأن لكل تلميذ بيئته الخاصة التى أتى بها إلى بيئته المدرسية ومن ثم يجمع التلاميذ بيئتين، وعلى المعلم أن يتعامل معهما فى تفاعل إيجابى حتى لا يجد تعارضا من بيئة التلاميذ لبيئة المدرسة.

ولذلك كثر القول بضرورة أن تمثل المدرسة البيئة التى نعيش فيها أفضل تمثيل حتى تدفع الجماعة بأبنائها إلى تلك المدرسة وإلا سوف يرفضونها، ويبحثون عن بيئة مدرسية أخري، وحتى بعد دخول التلاميذ إلى تلك المدرسة عليها أن تعى تماما مقدرات المحيط الحيوى للبيئة التى يعيش فيها التلاميذ، ومدى تفاعلها مع المحيط الاجتماعى حتى يتم التفاعل الإيجابى الذى يسهم فى الزيادة والاستمرار ولا يؤدى إلى النقص والاضمحلال، تلك قضية تربوية هامة، وليس علينا أن ندرس البيئة كمادة فقط وبالتالى تتحول إلى معلومات يحفظها التلاميذ ويفرغونها فى الامتحانات، ولكن الأهم أن تتحول المنطلقات

البيئية إلى سلوك يحقق النفع والاستفادة، ويؤكد الخير والسعادة للجميع ولن تكون هناك إدارة بيئية تربوية حتى يراعى ما يلي:

١ – تعظيم مكانة البيئة لدى جميع العاملين فى المدرسة.

٢ – تحقيق علاقة موجبة بين المدرسة والبيئة باعتبار أن كلا منهما مسئولا مسئولية اجتماعية وقومية عن الآخر.

٣ – اعتبار التلاميذ وحدة بيئية متكاملة، وأن الاختلافات بينهم تمثل ما فى البيئة من اختلافات نسبية لابد أن تكون قائمة.

٤ – الانطلاق من إمكانات البيئة لتعليم التلاميذ كيفية الاستفادة منها وضرورة الحفاظ عليها للاستمرار والتقدم.

٥– أن تسهم المدرسة فى التعاون العلمى لزيادة أسهم البيئة المحلية فى المجتمع القومى كنموذج يقتدى به.

وكثير من الدول جعلت للبيئة المدرسية إدارة خاصة تسهم فى تنوير المعلمين والتلاميذ بأهمية البيئة وضرورة التفاعل معها، وإحداث التمازج التام للتقدم والنماء.

وأصبح للبيئة مكانة عالية فى نفوس التلاميذ وصلت إلى درجة التقديس للحفاظ على أمنها وسلامتها، واعتبروا ذلك جزءا من أمنهم وسلامتهم، ومن هنا كان على المعلم أن يكون قادرا على إدارة فصله كوحدة من الأنساق البيئية يؤدى فيها دورا بارزا ويأخذ منها ما تجود به لتحسين تفاعل التلاميذ معه، وذاك يحتاج إلى مجموعة من المتطلبات نعرضها فيما يلي:

١ – على المعلم أن يوقن أنه يعمل فى إطار المحيط الحيوى والاجتماعى للبيئة التى توجد فيها المدرسة.

٢ – أن يعتبر التلاميذ وحدات بيئية يمكن دمجهم فى البيئة المدرسية، والاستفادة بما لديهم من إمكانات لتكوين المنظومة البيئية القوية.

٣ – أن يتعامل مع التلاميذ فى ضوء الواقع القائم حتى ينطلق إلى ما هو أفضل ومطلوب وبذلك نكون قد عرضنا فكرة قديمة فى أسلوب جديد يمكن للمعلم أن يتعامل من خلاله محققا كل آماله.

وعلى الرغم من أننا فصلنا فى الجزء السابق أنماط إدارات مختلفة كل واحدة على حدة إلا أن ذلك ليس هو المقصود بذاته عند إدارة المعلم لفصله، ويمكنه وبكل جرأة ومن غير تعقيد تنظيمى أن يعمل فى إطار الإدارات كلها محققا المتطلبات كلها دون خوف أو فشل لأن الهدف النائى أن يحقق المعلم طفرة إدارية تربوية تناسب عصر العولمة المنفتح بالعالم وعلى العالم، ومن هنا لا يجوز أن نحدد التلاميذ وعقولهم فى محيط الإدارة التقليدية التى تعتمد غالبا على أسلوب نمطى تعلم به الأجداد والآباء، ونحن بكل تأكيد نعلم رفض الأبناء له، فلا يجوز أن يقبل التلاميذ على التعليم وكذلك على الطريقة التى يتعلمون بها، ومن هنا كانت تلك الأفكار، ونؤكد أنها لا ترقى إلى تنظيم ثابت، ولا تنظير قائم، ولكنها محاولة فيها جرأة لاقتحام المستقبل ومحاولة الخروج من دائرة التسلط على الأبناء، والتى نعلم تماما أنها لا تصلح مطلقا ويكون من الغبن أن نرى الظلم ولا نرفعه أو على الأقل لا نستنكره مطلقا.

ومع كل ذلك نقول للمعلمين المخلصين أنت سيد قرارك وصاحب الأمر كله، ونحن هنا موجهين لك قاصدين إمدادك بما لدينا، حتى إذا أردت التغيير المستهدف للصلاح فلا تعدم الدليل، ويبقى على الإدارة المدرسية القيام بما يلي:

١ – تشجيع المعلم على إستغلال إمكاناته وقدراته كى يحقق الأهداف المطلوبة فى إدارة الفصل.

٢ – عرض مجموعة الأنماط المختلفة للإدارات الحديثة والتى تناسب ظروف العصر ومنطلقاته، وعلى المعلم أن يختار ما يناسب إمكانات وظروف الموقف التعليمي.

٣ – تنسيق الجهود بين المعلمين كى يتعرف كل معلم على تجارب زملائه ليكتسب منها المزيد من الخبر ويبتعد عن الصعوبات والمشكلات التى تعترضه.

٤ – المشاركة الفعالة فى تدعيم طرائق الإدارات الحديثة والاستفادة منها دون الذم أو المدح فيها مسبقا.

وبذلك نقول إن الإدارات المقترحة أفكار تقبل البحث وتسعد بالإسهام فى نجاحه.

ثانيا العائد التربوى للإدارات المقترحة لفصل العولمة

إذا كنا استعرضنا فى الجزء السابق بعض أنماط الإدارات التى يمكن الاستفادة من تطبيقاتها لإدارة الفصل بصورة عصرية مناسبة لتدفقات مبادئ وأفكار وتكنولوجيا العولمة، فإن ذلك يعطى دلالة قوية أن تلك الإدارات تسهم بصورة أو بأخرى فى زحزحة الفكر التقليدى التى تأكدت سلبياته، ولم يعد يصلح مطلقا لعصر التسارع والحركة والحراك، فيصبح من المفيد أن نبحث عن أنماط جديدة تحقق لنا ما نرجوه من آمال أولها الخروج عن دائرة الدول النامية أو بالأحرى الدول المتخلفة كى نلحق قطار التقدم الذى اختار السرعة الفائقة لمسيرته، وبالتالى لن يستقله إلا ذوى العزم من الأمم والذى يعرف أن القوة هى السبيل للصمود، والقوة التى نقصدها هى قوة العلم والمعرفة وليست قوة الأبدان والأجسام.

وانطلاقا من أنماط الإدارات التى تم عرضها واقتراحها يكون لزاما مع تطبيقها تغيير المواكب للاتجاهات العصرية المختلفة وما تفرضه من مسئوليات واختصاصات يمكن لتلك الإدارات أن تحققه وهذا ما يتم عرضه فى هذا المقام:

أهم سمات العائد التربوى للإدارات غير التقليدية

١ - إرساء دعائم الديمقراطية عند المعلم والتلميذ

لاشك أن الديمقراطية هى لغة الشعوب الساعية للحرية والتى ترغب فى غرسها فى نفوس الناشئين من أبنائها، لتحقيق مزيدا من الحرية ولا يمكن أن تقف الديمقراطية عند حدود مجال السياسة فقط، بل أوسع من ذلك وأشمل فهى سلوك وأسلوب للحياة أكثر منها شعارا حكوميا، أو نداء سياسيا يتشدق به بعض الساسة لشعوبهم دون سلوك واقعى ملموس.

والإدارة التقليدية للفصل الدراسى صبغت بصبغة ديكتاتورية مما جعل طلاءها الديمقراطى مزيف وباهت وغير مقبول، لأنه فى الحقيقة قشرة ظاهرية من غير عمق أو جوهر حقيقي.

ولذلك كان من الواجب على رجال التربية فى كل بلد حر ديمقراطى أن يضيفوا تعريفاً إجرائيا للديمقراطية يتفق مع الفكر التربوى الحديث الذى يؤكد حرية التلميذ كمواطن حر له قدر كبير من الحرية يعمل فى إطارها وفق ما شاء الله من إمكانات.

ومن أهم ملامح الديمقراطية التى تتفق مع نظرة الفكر التربوى الحديث للإدارة العصرية ما يلي:

(أ) إن الديمقراطية طريقة وأسلوب للحياة أكثر من كونها نظاما سياسيا للعمل به فى أنظمة الحكومات، ولما كانت مبادئ الديمقراطية تشترط أن يحكم الكل

بالكل فى مودة واحترام وجدنا ذلك يتفق مع أحدث فلسفات التربية فى إدارة العملية التعليمية وإدارة التلاميذ فى فصولهم.

حيث إنه لا يمكن أن يتحقق النجاح الكامل للتلاميذ بمساحة كبيرة تؤدى إلى المعرفة لرغباتهم التى يمكن بواسطتها تحقيق الأهداف الموضوعية والمطلوبة لمستقبلهم بما يناسب إمكاناتهم ومستقبل الوطن.

(ب) تقوم الديمقراطية على احترام كرامة التلميذ كإنسان، حيث إن الإنسانية دعوة السماء لتفضيل وتكريم البشر، وما تفضل الله سبحانه وتعالى بذلك إلا رغبة من جلاله فى رفع الإنسان مكانا عاليا يتولى فيه خلافته فى الأرض.

لذلك كانت الإدارات الحديثة تعمل جاهدة على تقرير ذلك المبدأ فى إدارة الفصل بأسلوب مادى ومعنوى مما يحتم على المعلم أن يتفهم قيمة واحترام كرامة التلميذ ليأخذ بيده من طور الآدمية إلى طور الإنسانية التى هى مقصود الله فى خلقه، وفى أوامر التكليف عبر النداءات الإلهية فى القرآن الكريم وفى السنة الشريفة.

(ج) تعتمد الديمقراطية فى نجاحها على إشراك جميع التلاميذ فى اتخاذ القرار، ومشاركتهم مسئولية التلميذ واختيار رأى الأغلبية، لذا كان على المعلم الواعد المدرك لحقوق الإنسان أن يعامل التلاميذ على ما فيهم من محتوى اجتماعى وإنسانى متميز، ولابد أن يعلم المعلم أن فى نفوس التلاميذ رغبات قوية لابد من الإفصاح عنها والأخذ بنعمة الشورى والاشتراك فى تحديد مستقبلهم.

وفيما يلى نستعرض مجموعة من ألوان السلوك التى يجب أن يتصف بها المعلم ليكون ديمقراطيا فى إدارته لفصله:

- ألا ينكر عليهم حقهم فى الحياة التى يرغبون فيها مادام ذلك لا يؤثر على حق الآخرين أو المصلحة العامة.

- أن يشجع تلاميذه على التمتع بالحرية ومزاياها بما لا يتعارض مع صالح مستقبلهم وصالح المجتمع الذى يضمهم.
- أن يسعى دائما لتنمية شخصيته من خلال إطار سلوكى يساعد الآخرين على الاقتداء به.
- أن يحاول جاهدا تحسين فرص التلاميذ فى اكتساب المعرفة والفهم الواعي، لإعدادهم لدور المواطنة المستنيرة كشرط أساسى لتحقيق الديمقراطية.

٢ – إحترام حرية التلميذ وشخصيته

كان من عيوب إدارة الفصل بصورة ديكتاتورية أن طمست معالم حرية التلميذ بمعاملته كشيء مهمل بلا قيمة ولا قدر، ومثل هذه المعاملة اللاإنسانية والتى انعدمت فيها روح الديمقراطية، جعلت مهمة الفكر المعاصر لإدارة الفصل أن تقتلع جذور الديكتاتورية المقيتة لغرس دعائم السلوك الديمقراطى الحر الذى يسمح بظهور ونمو حرية التلاميذ ويسهم فى تشكيل معالم شخصياتهم.

واعترافا بشخصية كل تلميذ وكيانه المتميز الذى تكون من خلال مجموعة من الخبرات الحياتية التى مر بها يجب على المعلم فى إدارته للفصل أن يحترم هذه الشخصية، وذلك الكيان النفسى والبناء العقلي، ويبدى لكل تلميذ الاهتمام الذى يستحقه مع تقويم كل المظاهر السلبية التى قد تظهر أو تنتج عن ذلك داخل الفصل.

ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال مشاركة التلميذ انطلاقا من الإدارة بالمشاركة بإبداء الرأى فيما يمارسه من أنشطة والتمتع بحرية كاملة فى مناخ اجتماعى سوى بعيدا عن القهر والإرغام.

وقد أكد كثير من فلاسفة التربية وعلمائها على أهمية مبدأ الحرية للتلاميذ، من خلال تقريرهم أن الفضيلة هى الغرض الكلى من التربية وأعلى مقومات

الفضيلة هى الحرية الداخلية التى تظهر من خلالها شخصية الفرد والمجتمع وتركز جميع مذاهب التربية رغم اختلافها أو تداخلها أحيانا على أصل حرية الأفراد فى التعليم وممارسة النشاط وتنمية المواهب، وقد أشار كل من (فروبل) و(بستالوتزي) بإلحاح إلى أهمية إتاحة عنصر النشاط الذاتى الحر للتلميذ ووجوب توفير الاحترام الكامل له حتى يمكن أن تنمو شخصيته الحرة من خلال الممارسات اليومية فى الفصل وخارجه.

ويترتب على ذلك أن تتم معاملة المعلم لتلاميذه باعتبارهم أفرادا مستحقين للحرية التى تعنى المساواة والعدالة بينهم، فالمساواة تتطلب اتفاق جميع التلاميذ فى استحقاقهم فرص تعليمية متكافئة فى الفصل، والعدالة تستوجب رعايتهم انطلاقا من أسس موضوعية ثابتة لا تثير أحقادا أو حواجزا نفسية بين التلاميذ، ومهمة المعلم فى سياق هذه الحرية أن يرشدهم لتعلم يناسب قدراتهم ثم يدربهم على مواجهة واقع المجتمع ومشكلاته، ليكونوا مواطنين صالحين لممارسة حياة سوية وخدمة مجتمعهم فى عصر العولمة.

ولإعلاء مباديء حرية التلاميذ داخل الفصل، يحتاج المعلم لتبنى ممارسات تربوية فى إدارته، وصفات تشمل ما يلي:

(أ) أن يتصف بدرجة عالية من المرونة السوية دون إفراط أو تفريط.

(ب) أن يتميز بقدر كامل من الوضوح والتحديد لملامح الحرية التى تناسب المواقف التربوية المختلفة.

(ج) أن يسهم فى تحقيق مبادئ الجدية والإلتزام دون تزمت أو تعنت أو زيادة فى الضغط النفسى.

(د) أن يواكب الاتجاهات التقدمية بوعى وإدراك كلى مع الحفاظ على مستلزمات تراثه وأصالته الثقافية خوفا من فخ العولمة.

٣ - تنمية روح الإبداع والابتكار عند التلميذ

قتلت الإدارة التقليدية للفصل الدراسى روح الإبداع والابتكار وقد يكون ذلك عن قصد من الفكر التربوى الذى ورثناه عن الاستعمار حتى نستمر فى ركب الدول المتخلفة ولا نخرج منها، حيث يحتاج الإبداع والابتكار إلى مساحة شاسعة من الحرية.

ونحن إذا انتقلنا من ديمقراطية غير حقيقية إلى ديمقراطية حقيقية أكدنا أهمية الحرية وضرورتها للإنسان حتى يعيش إنسانا.

ولن يكون هناك إبداع ولا ابتكار بغير تحقيق لحرية التلاميذ فى الفصل إلى أعلى درجة ممكنة.

ولذا يجب من منطلق حرية التلميذ وضرورة احترام شخصيته أن يترك المعلم للتلميذ العنان للممارسات الإبداعية الصحيحة والتشجيع على التساؤل المنطقى بدون قيد أو شرط ولا يتحقق ذلك إلا من خلال إدارة حديثة تتمتع بروح الحرية وشهامة الديمقراطية، والفصل الدراسى يعتبر أصغر المؤسسات الاجتماعية التى يمكن للمعلم الواعى أن ينمى فيها روح الإبداع والابتكار حيث التنافس الحر الشريف بين التلاميذ وتهيئة الفرص المناسبة لإظهار قدراتهم وتنمية ميولهم السليمة حتى تتضح المواهب الكامنة وتظهر سماتها، ويعتبر مدرس الفصل مسئولا مسئولية تامة عن توجيه أنشطة التلاميذ فيما ينمى مواهبهم ويزيد من قدراتهم الإبداعية.

ولن يتحقق ذلك إلا فى إطار من التعاون والإشراف الديمقراطى الجيد حتى تحقق العملية التربوية أهدافها.

وعلى المعلم أن يدرك أن الإبداع والابتكار ليس لغة جامدة بل هو حركة منتظمة منسقة بين الواقع والمأمول، ولذا عليه أن يسهم فى ابتكاراته الحالية وأن

obeikandl.com

يتيح له فرصة الخيال الإيجابى الذى تظهر خلاله مجموعة الإبـداعيات لفنـون وأنشطة وتكنولوجيا المستقبل باعتبارها أدوات عصر العولمة.

وتحتاج عملية الإبداع والابتكار عند التلميذ إلى أعلى درجة ممكنـة مـن الإدارة الناجحة الحديثة التى تؤمن إيمانا كاملا بأهمية عقلية التلميذ ومقدرة هـذه العقلية على الانطلاق إلى آفاق بعيدة لتحقيق أقصى درجات الابتكار، ومن أهـم وسائل تحقيق هذه الحالة ما يلي:

(أ) تهيئة روح الاكتشاف والابتكار لدى التلاميذ فى بيئة تعليمية تربويـة مناسبة تسهم فى تشجيع التلميذ على إطلاق العنان لكل قدراته وطاقاته فى الفصل الدراسى وفى الأنشطة الخارجية.

وعلى المعلم أن يراعى المناخ التربوى الذى تحترم فيه الفروق الفردية للإبداع والإبتكار حتى يمكنه إستكشاف وتنمية جميع المواهب التى من بها الخالق عز وجل على عباده لكى يحققوا التوازن الطبيعى لمتطلبات اكتشاف المستقبل.

(ب) إتاحة الفرصة أمام الطلاب للحوار المفتوح الجاد والمناقـشة البنـاءة التى تشحذ طاقات الإبداع والابتكـار لـديهم، فالاسـتعانة بـالحوار والمناقشة لها دور عظيم فى تحقيق القدرة على التفكير وتنظيم الأفكار وتبنى الآراء، وذلك هو أحد السبل التى تؤدى داخل الفصل لاكتـشاف ميول الدارسين ومواهبهم، ومن ثم مساعدتهم لتنمية تلـك المواهـب وتطويرها.

(ج) تنويع طريقة عرض الموضوعات

فالطريقة عامل هام وأساسى فى نجاح العملية التعليمية، فعليها يتوقف إقبال أو نفور الدارس وإعراضه عن التعلم، لذا ينبغى على المعلـم أن يدرك الطريقة السليمة التى تنقل بها خبراته ومعلوماته إلى تلاميذه.

ولاشك أن الاستمرار فى طريق واحدة لعرض الموضوعات والأفكار هو نوع من التسلطية الفكرية على التلاميذ لأنها لا تناسب جميع المستويات العقلية ولا تحقق الفائدة المرجوة من وجود الفروق الفردية بين التلاميذ، ومن هنا كان على الإدارة الحديثة التى يجب أن يتبعها المعلم فى إدارة فصله أن تعى وبالتالى تتوجه لكل ما يحقق تنمية الإبداع والابتكار لدى التلاميذ حتى تحقق التربية الحديثة أهدافها المنشودة.

٤ - إيجابية العلاقات بين المعلم والتلميذ

إن الباحث فى مجال إدارة الفصل التقليدية سوف يتأكد بصورة واضحة أنها فقدت عنصرا مهما من عناصر العلاقة الإيجابية نظرا لديكتاتورية المعلم وتسلطه، الأمر الذى جعل التلميذ يخشى أن يكون أى نوع من العلاقة التى يجب أن تكون بين المعلم والتلميذ فانعدما عنصرى الصداقة التى هى من أهم مبادئ التعليم الحديثة التى تؤكدها النظريات التربوية، مثل ضرورة أن نترك الحرية للتلميذ حتى يتعلم ويفعل ما يريد فى إطار من العلاقة الإيجابية بينه وبين المعلم وقد جاءت التطورات الاقتصادية والاجتماعية مع التقدم العلمى والتكنولوجى الهائل لتسهم بفاعلية، بطريقة غير مباشرة فى العلاقة بين المعلم والتلميذ ومن ثم فى ضرورة أن تكون العلاقة بينهما على أعلى درجة من الإيجابية لسد الثغرات التى قد يعانى منها التلميذ فى حياته الأسرية والدراسية، خاصة أن العلاقة بين كل منهما علاقة متبادلة ومزدوجة وقد تكون رسمية وغير رسمية فى الفصل الدراسى أو خارجه، ومن ثم كان من الواجب مراعاة احتياجات التلميذ النفسية والعقلية والظروف المناسبة لتقديم الكم والكيف التعليمى المناسب.

وهذه الإيجابية تحتاج إلى وعى كامل من المعلم بأنه أمام تلاميذ يفهمون ويعرفون الكثير عن المعلم والدرس والمجتمع معرفة تمكنهم من الاستفادة من الخبرات المتسارعة التى يحصلون عليها فى حياتهم خارج أسوار المدرسة، مما

يتطلب أن يكون المعلم مقدرا لهذه المعرفة مدركا لهذا العلم متفاعلا معه وليس مضطهدا له ولا متسلطا عليه، فبالمعرفة والإدراك يتحقق التلاحم النفسى ويسهل التعاون العلمى المطلوب.

إن أهم أهداف إدارة الفصل برؤية عصرية وبلغة تناسب الظروف المتسارعة هو أن نجعل من المعلم فى الفصل مشرفاً على مشروع إنتاجى كبير تستثمر فيه أرقى العلاقات الإنسانية لتمكين أفراد الفريق من الأداء الجيد والإنجاز السريع.

لذا وجب على المعلم أن يغير من فكرة إدارته للفصل بالصورة التى يسيطر بها ويهيمن تماما على كل حركة تصدر عن التلاميذ إلى محاولة رفع الروح المعنوية المقترنة بالاحترام والحنان الأبوى الذى من خلاله تتضح قدرات التلاميذ وتتضح مواهبهم ويكتسبون الثقة فى أنفسهم.

ومن أهم وسائل تحقيق الإيجابية بين المعلم والتلميذ ما يلي:

(أ) أن يدرك المعلم تماما أنه أمام مجموعة غير متجانسة من العقول والنفوس وعليه أن يتقبل الجميع بقوة وشجاعة لأن كل تلميذ خلق لمهنة معينة ومستقبل مقدر وميسر له، وبذلك عليه أن يأخذ الأمر مأخذ الجد فى إتاحة أكبر فرصة لنمو العلاقات الحرة الكريمة التى يجد فيها كل تلميذ ما يناسب قدراته وطاقاته العقلية والنفسية.

(ب) أن يؤمن بأنه يقوم بعمل إنتاجى استثمارى مستقبلى وأنه أول من يسهم فى زيادة الإنتاج وارتفاع ربحية الاستثمار ويرسم الخطوات السليمة للمستقبل، ومن ثم على المعلم أن يدير هذا المشروع الكبير المعقد بروح قائد الفريق ولا يتطرق إلى عقله وقلبه مطلقا أنه يؤدى وظيفة محدودة بمال ووقت فيخسر المشروع والمستقبل.

(ج) أن يعرف يقينا أنه أمام رقابة شديدة اليقظة فى كل سلوك، فإنه القائد المقتدى به، ولن تتحقق أية علاقة إيجابية ثابتة إذا لم يكن مدركا لحدود ومساحة قلبه فى تعامله مع الآخرين ومن ثم عليه أن يوزع كل شيء بالتساوى ولو فى الظلم لأن ذلك مدعاة للعدل والإيمان بالقائد، وبذلك تتضح ملامح العلاقات بين القائد ومن يقود وتنتشر الثقة بينهم وتكون الإيجابية التى نأملها فى المستقبل لإدارة واعية مدركة لأبعاد قضية الاستثمار فى الدول النامية.

٥ - زيادة الدافعية والرغبة فى التعليم عند التلميذ

أكدت الأبحاث النفسية أن التسلطية تقتل الرغبة فى العمل بكل مجالاته ومختلف أشكاله لذلك نؤكد وإلى حد كبير أن التسلطية فى إدارة الفصل الدراسى أهدرت قدرات كبيرة كان يمكن أن يستفاد منها إلى أقصى مدى ممكن.

وبما أن المعلم قائد فكر ومرشد سفينة فهو الأمل فى تحديد خطوط التقدم المنشود من العملية التعليمية.

يجب أن ندرك إذن واقع فلسفة إدارة الفصل الدراسى فهو ليس جدارا أو مقاعد ولكنه حركة عقول وقلوب تسير مع فكر القائد وتكتسب صفاتها من صفات قائدها.

ويمكن القول بأنه على الرغم من ارتفاع مجاميع الدرجات فى الشهادات العامة إلا أن ذلك لم يكن يوما الهدف الوحيد للعملية التعليمية والتربوية ولكن الهدف الأسمى والأعلى الذى يجب على الجميع أن يسارع للوصول إليه هو القدرة على التعليم الذاتى استئناسا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) والطلب هنا عام وخاص، وخصوصيته للفرد الإنسانى حتى يستمر فى طلب العلم حتى مماته والعلم تراكمى ومضاف إليه كل ثانية

جديد والإهمال فى طلبه جريمة فى حق الفرد والمجتمع، حيث ترتد الجهالة إليه ويتقهقر إلى ظلمات القرون الوسطى والجاهلية الأولي.

فمن ثم على المعلم أن يدرك أن مسئوليته فى غاية الصعوبة فإن أوقف عمله عند حد الإعداد للامتحان فقط تحطمت قدراته وضاع جهده وتوقفت مسيرته نحو الانطلاق إلى المستقبل الأفضل.

والإدارة الحديثة الواعية فى كل العالم المتقدم تتحول من التلقين إلى الذهنية، ومن الهيمنة والسيطرة إلى النشاط والحرية، حيث ثبتت أهمية الحوار لزيادة الفعالية فى الإنتاج وخاصة إذا كان الإنتاج أو النتائج تتعلق بالمعنى والحس اللذين يتعلقان بالعقل والنفس.

وقد أظهرت العديد من الدراسات العملية أهم طرق زيادة الرغبة فى العمل وزيادة القدرة الإنتاجية فيه وتحطيم العقبات التى تشكل حجر عثرة فى الاستمرار فى النجاح ومن أهم هذه الأمور ما يلي:

(أ) إثارة إحساس التلاميذ بأهمية العلم وقدسيته

أن ليس لعلم مال يساويه ولذلك فلا عيب أن يكون الكثير من العلماء ليس لديهم مال وعليهم أعباء لأن الوفاء فى حاجة الناس إليك وليس فى حاجتك للناس.

(ب) التحفيز بالمدح والتقدير والثناء على أى جهد أو نشاط

فتوجيه الشكر للتلاميذ وكتابة أسماء المتفوقين فى لوحة الشرف يعتبر من أهم وسائل التحفيز لزيادة الدافعية للتعليم والاستمرار فيه، ذلك أن الله أودع فى كل نفس رغبة فى التطلع للأفضل والمزيد من التملك حتى لمشاعر الآخرين وإحساساتهم، لذلك من الضرورى أن يدرك المعلم فى إدارته للفصل أن تقديره للتلاميذ من أقوى الوسائل التى يتم استخدامها لمزيد من

الدافعية للتعليم فى كل الأوقات لأنها تعد الإحساس بأهمية الذات وإتاحة الفرص المثالية والتفوق لتأكيد الذات ولن يكون التأكد فى الفراغ، ولكن لمزيد من العمل الجاد المستمر.

وللمدح شروط أهمها

١ – أن يقوم به المعلم علانية وأمام التلاميذ

٢ – أن يتم الفصل الدراسى أو الموقف التعليمي

٣ – أن يكون التلميذ قد قام بعمل يفوق قدرة الآخرين

٤ – أن يتم ذلك بعد الأداء مباشرة

٥ – أن يكون صادقا ومحددا

٦ – ألا يكون مبالغا فيه

٧ – ألا يكون الغرض شخصيا

٨ – أن يكون مثيرا لدافعية الآخرين

٩ – أن يستشعر التلاميذ موضوعية التقدير

١٠ – أن يقدر التلاميذ هذه الجائزة المعنوية

(ج) غرس الثقة فى نفوس التلاميذ

إن عملية التعليم ليست بالعملية السهلة الميسرة للتلاميذ، وكثيراً ما يعانى التلاميذ من عدم قدرتهم على تحصيل الدروس وفهمها فهما عميقا ولذلك توجد أسباب كثيرة من أهمها عدم ثقة التلميذ فى نفسه، ومن هنا يصبح الأمر أكثر صعوبة وقد يؤدى إلى البعد عن سلم التعليم والاستمرار فيه وقد يكون ذلك واردا من الروح الديكتاتورية التى تسيطر على العلاقة بين المعلم والتلميذ فتفقد الرغبة فى التعليم.

ولذلك على الإدارة الحديثة الواعية من جانب المعلم التربوى أن تغرس الثقة فى نفس كل تلميذ بدرجة تمكنه من السيطرة على مجريات الأمور وإظهار ما لديه من إمكانات وقدرات يحقق بها ذاته ويصل إلى درجة من التقدم والنجاح.

(د) تبصير التلاميذ بضرورة تحديد أهدافهم المستقبلية

إن الإدارة الواعية للفصل الدراسى تمكن المعلم من تبصير التلاميذ بقدراتهم، ومن ثم يأخذ بأيديهم نحو تحديد ملامح المستقبل القريب والآمال المتعلقة بالمستقبل البعيد، والمعلم الذكى يدرك تماما أن لتحديد الأهداف فوائد تربوية عظيمة الشأن فى مسيرة الحياة وكلما كانت الفوائد التربوية عظيمة الأثر والنفع فى واقع الحياة زادت الدافعية والرغبة فى التعليم والاستمرار فى طلب المزيد منه أملا فى تحقيق أكبر الأهداف المستقبلية.

٦ - تحقيق استراتيجية عمل فردى جماعى ناجح

من مهام الإدارة الحديثة للفصل الدراسى تحديد ملامح استراتيجية العمل التربوى فى الفصل وهى ضرورية لنجاح أهداف المستقبل وبدون ذلك تصبح العملية التعليمية شيئا من الفوضى والتسيب لأنها تعتمد على ظروف الموقف، ومن ثم لا تتضح ملامح العمل الجاد المستمر.

والاستراتيجية مفهوم واسع وشامل وكلى استخدم مجازا لإدارة الفصل الناجحة التى كان من الضرورى أن ترسم خطة عمل يتضح فيها المطلوب عمله والمحاذير المختلفة ومنها التقويم المستمر وفيها كل شروط التخطيط الجيد.

ولأن الاستراتيجية تعنى مقومات العمل الناجح فى إدارة الفصل فعلى المعلم أن يدرك أن أمامه هدفين فى غاية الأهمية:

أولهما أن الفرد وحدة قائمة بذاتها وله مقوماته وأهدافه الخاصة، ومن ثم لابد أن يتحقق ذلك الهدف ليسهم فى تكوين الفرد والإنسان المواطن.

ثانيهما أن الفرد وحدة بذاتها وجزء من وحدات المجتمع، ومن ثم فلابد أن يتحقق ذلك الهدف ليسهم فى تكوين المجتمع المتكامل.

ولذلك على المعلم أن يدرك فى إدارته للفصل الحديث أنه أمام التنوع والاختلاف سوف تكون استراتيجية الإدارة عبارة عن هندسة علاقات للكشف عن القدرات الفردية التى تخدم جماعة المجتمع وأن يدرك أن بداية نجاح الأمة فى نجاح أفرادها المختلفين والمتميزين.

ومن هنا كان من الضرورى أن تتحقق مجموعة من الاعتبارات التربوية العصرية للوصول إلى ذلك الهدف ومنها ما يلي:

(أ) تقديس العمل الجماعى الذى يؤكد وجود التعاون بين الأفراد ويشعرهم بحاجة بعضهم لبعض وأن يقدم المشورة والنصح فى استخدام الموقف التعليمى التربوى لكى يحافظ على وحدة الجماعة الإنسانية فى المجتمع، خاصة مع ما نلاحظه اليوم من فرق واختلاف لسوء تربية بعض السنوات السابقة أو لظروف عصر متغير وسريع التقلب.

(ب) إحساس الجماعة بأهمية الفرد وضرورة احترامه من الجماعة لأن عمل الفرد هو فى النهاية جزء من أعمال الجماعة، وإهماله أو عدم تقديره يصيب الجماعة فى النهاية بالفشل فى تحقيق الأهداف المطلوبة، إذا استشعرت الجماعة أهمية أفرادها بقوة تحافظ على وحدة الجماعة وتماسكها وهو أهم ما تسعى إليه الإدارة الحديثة التربوية.

ونستطيع أن نستخلص مما سبق أهمية الإدارة التربوية الحديثة للفصل الدراسى باعتبارها منطلقا للقرن الحادى والعشرين الذى كان فيما سبق بعيدا واليوم نحن نعيشه بعد أن كان حلما نرسم فيه الآمال وأصبح الآن واقعا نحقق فيه ما رسمنا.

ولن تكون هناك نهضة اقتصادية أو اجتماعية فى مصر دون أن تكون هناك إدارة تناسب لغة عصر التغير المتسارع أو ما يسمى بعصر العولمة.

والمدرسة باعتبارها مؤسسة اجتماعية تستهدف تنمية المجتمع من خلال البشر أصبحت ذات وظيفة مسئولة عن تقدم المجتمع أو تخلفه، ومن هنا كان من الضرورى أن يستشعر التلاميذ أنهم الإنتاج الذى ينتظره الجميع ليحقق به أهدافه فى عالم سادت فيه لغة الأقوياء، وأن يستشعر المعلم عظمة أمانته فيسعى ليكون على قدر مسئوليته عن كل حاضر المجتمع ويسعى بجهوده المخلصة إلى رسم أفضل صورة للمستقبل حتى نخرج من عنق الزجاجة إلى آفاق العالم الذى سيطر بعلمه وجهده على الأرض فى إستغلال خيراتها وعلى الفضاء بملئه بأقماره العلمية والتجسسية والتدميرية حتى نكون على الأقل فى مأمن من شرورهم ونحاول أن نصل بأنفسنا إلى مكان الإحترام المطلوب.